الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين .
أما بعد : قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير سورة يس :

بسم الله الرحمن الرحيم

** وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون * وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين * وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين **

يقول تعالى مخبرا عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي أسلفوها وما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم قال مجاهد : من الذنوب وقال غيره بالعكس لعلكم ترحمون أي لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه وتقدير الكلام أنهم لا يجيبون إلى ذلك بل يعرضون عنه واكتفى عن ذلك بقوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم أي على التوحيد وصدق الرسل إلا كانوا عنها معرضين أي لا يتأملونها ولا ينتفعون بها .

وقوله عز وجل وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله أي وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين قال الذين كفروا للذين آمنوا أي عن الذين آمنوا من الفقراء أي قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإنفاق محاجين لهم فيما أمروهم به أنطعم من لو يشاء الله أطعمه أي هؤلاء الذين أمرتمونا بالإنفاق عليهم لو شاء الله لأغناهم

ولأطعمهم من رزقه فنحن نوافق مشيئة الله تعالى فيهم
﴿ إن أنتم إلا في ضلال مبين ﴾ أي في أمركم لنا في ذلك . قال ابن جرير رحمه الله تعالى : ويحتمل أن يكون من قول الله عز وجل للكفار حين ناظروا المسلمين وردوا عليهم فقال لهم ﴿ إن أنتم إلا في ضلال مبين ﴾ وفي هذا نظر .

الشرح :
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه . أما بعد :
فهذه الآيات هي في معنى جديد ، قال جل وعلا : ﴿ **وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون** ﴾ إذا قيل لهم : يعني قيل للمشركين الكافرين الذين لم يشكروا نعمة الله بالتوحيد ولم يجيبوا ويستجيبوا لرسوله ، إذا قيل لهم اتقوا : يعني خافوا واجعلوا وقاية تقيكم ما بين أيديكم من العذاب أو ما بين أيديكم من الآخرة ، وما خلفكم من ما سلف من الذنوب ، أو ما خلفكم مما سلف من الدنيا التي أشركتم فيها مع الله جل وعلا آلهة أخرى .
إذا قيل لهم اتقوا ذلك لعلكم ترحمون ، ما جوابهم ؟ ترك الجواب ، ترك إظهار الجواب وذلك لوضوحه وبيانه ولتهويله وتعظيمه أيضاً ، والجواب إذا قيل لهم ذلك أعرضوا واستكبروا وأصروا على كفرهم .
وقوله هنا : ﴿ **إذا قيل لهم اتقوا** ﴾ هذا أمر بأن يكونوا من أهل التقوى ، والتقوى أصلها في اللغة جعل الشيء وقاية بين شيئين ، ويقال اتقى فلان الحر بيده إذا جعل يده وقاية ، اتقى الشمس بيده إذا جعل يده وقاية . ومنه قول النابغة في شعره المشهور :
سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولتـه واتقتنـا باليـد
وقوله : اتقتنا باليد : أي جعلت اليد وقاية .
....

يعني أن أصل المادة من وقى يقي ، وقاه : أي جعل ثم وقاية بينه وبين الشيء .

التقوى في القرآن خوطب بها الناس جميعاً ، وخوطب بها المؤمنون ، وخوطب بها خاصة المؤمنين . خوطب بها الناس جميعاً في مثل قوله : **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** وفي قوله : **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** هذه التقوى العامة التي أمر بها الناس أجمع ، ومعنى هذه التقوى أن يتقوا عذاب النار الدائم بتوحيد الله جل وعلا وترك الإشراك به . فإذا قيل لكافر : اتقي الله ، معناه أسلم ، وحد الله واترك الشرك .

 يا أيها الناس اتقوا ربكم هذا أمر للمشركين ولغيرهم ، للكفار ولغيرهم ، أن يتقوا الله ، بأن يتقوا الرب جل وعلا ، وهذا معناه أن يوحدوا الله وأن يتركوا الشرك بالله جل وعلا .

وهنا هذا النوع هو المراد في هذه الآية] **وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون** [، كيف يتقون ما بين أيديهم من الذنوب الحاضرة ، أو ما بين أيديهم من العذاب الذي يحيق بالكافرين ، والعقوبة التي تحيق بالمشركين ، أو كما قال بالعكس ، ما بين أيديكم من العذاب أو ما خلفكم مما سبق أن فعلتموه من الذنوب . في أربعة أوجه للمفسرين ذكرها ابن الجوزي وغيره .

إذا قيل لهم اتقوا ذلك ، كيف يتقونه ؟ يتقونه بالإسلام ، **اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم** يتقونه يجعلون شيئا وقاية بينهم وبين الذنوب ، وبين العذاب ، فما هذا الشيء ؟ هو الإسلام والتوحيد ونبذ الشرك ، والاستجابة للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ لذلك قال في آخره : **لعلكم ترحمون** ، وهذا ترجي ، والترجي بلعل الغالب فيه التحقيق في القرآن .

وقال جل وعلا بعدها : **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين** ، **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم** من هنا في الموضع الأول

هي البيانية ، والثانية هي التبعيضية ، **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم** يعني من بعض آيات ربهم ، **إلا كانوا عنها معرضين** ومن كما هو معلوم لها عدة استعمالات ، تأتي لاستعمالات كثيرة جمعها الناظم في حروف المعاني بقوله :

آتتنا من لتبين وبعض وتعليل وبدأ وانتهاء

وزائدة وإبدال وفصل ومعنى عن وعلى وفي وبأي

فمن معاني من البيان ، تقول : خاتم من حديد ، هذا بيان ، ومن معانيها التبعيض ، أخذت كتابا من الكتب ، هذا التبعيض ، فهذه الآية فيها من الأولى البيانية ، والثانية التبعيضية ، قال : **وما تأتيهم من آية** هذا بيان لما جاءهم ، **وما تأتيهم من آية من آيات** يعني من بعض آيات ربهم **،** والآية في القرآن : هي الدلالة الواضحة البينة على رسالة الرسول ، أو على وحدانية الله جل وعلا، وهي في اللغة الدلالة الواضحة البينة على المراد ، قال الشاعر :

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

توهمت آيات ، يعني دلالات بينة توضح شكلها وصورتها فعرفتها .المقصود هذا معنى الآية في اللغة .

في القرآن الآية هي ما يُعطاه النبي دال على صدقه ، كما قال جل وعلا : **فأراه الآية الكبرى** ، كما قال جل وعلا : **إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين**

والآيات التي أعطيها الأنبياء دالة على صدقهم ، هي التي يسميها علماء الحديث دلائل النبوة ، وهي قسمان :

آيات كبرى خاصة بالأنبياء .

وآيات صغرى قد يشترك الأولياء في كراماتهم مع الأنبياء في أصلها ، لكن لا يشاركونهم في جنسها ، يعني في عظم جنسها وفي قدرها ، أو في نوعها ، أو في صفتها ، لكن يشاركونهم في أصلها ، وهذا له مجال كلام ، ليس هاهنا

....

المقصود أنه ذكر أنه : **ما تأتيهم من آية من آيات ربهم** سواء أكانت آية كبرى كانشقاق القمر أو كنزول القرآن **إلا كانوا عنها معرضين** ، فإذا جاءتهم آية أعرضوا ، ولم يستجيبوا لتلك الآيات ، وهذه الآيات هي البراهين الدالة على صدق النبي عليه الصلاة والسلام ، فيعرضون عنها ، ولهذا لم يستجيبوا لرسالة الرسول عليه الصلاة والسلام .

قال جل وعلا هنا : ﴿ **إلا كانوا عنها معرضين** ﴾ يعني هذه حالهم ، وهذا حصر ، ما وإلا ، إلا بعد ما هنا بمعنى الحصر ، يعني إذا جاءتهم آية لم يؤمنوا بل اعرضوا ، وقوله هنا : ﴿ **إلا كانوا عنها معرضين** ﴾ الإعراض هو إعطاء العرض ، والعرض هو الجانب ، تقول : هذا عرض الحائط ، يعني جانب الحائط ، وقال جل وعلا : ﴿ **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه** ﴾ ، قال : ﴿ **وإما تعرضنا عنهم ابتغاء رحمة** ﴾ يعني إما تعطينهم عرضك ، أي جانبك .

قوله هنا : ﴿ **إلا كانوا عنها معرضين** ﴾ يعني فارين من تلك الآيات ، معطين عرضهم جانبهم لمن جاء بها ، وهذا يدل على عدم اكتراثهم بها ، وعدم قبولهم لها ، وصدهم وردهم لذلك .

قال جل وعلا بعدها ـ نذكر على وجه الاختصار ـ قال جل وعلا بعدها : ﴿ **وإذا قيل لهم انفقوا** ﴾ يعني إذا قيل للمشركين ﴿ **انفقوا مما رزقكم الله** ﴾ انفقوا يعني اخرجوا المال ، وأعطوه الفقراء المساكين ، وهذا المال قد رزقكم الله إياه فأعطوه العباد المساكين الذين لم يرزقهم الله إياه .

﴿ **قال الذين كفروا للذين آمنوا** ﴾ وقد فسر ﴿ **للذين آمنوا** ﴾ يعني عن الذين آمنوا ، وهذا تفسير صحيح موافق للمعروف من اللغة ، وموافق لتفاسير السلف ، وقد جاء أيضا في القرآن في مواضع كثيرة ، كما في قوله جل وعلا ، قال في سورة الأحقاف : ﴿ **قال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه** ﴾ ،

....

﴿ **قال الذين كفروا للذين آمنوا** ﴾ يعني عن الذين آمنوا ، وضابط ذلك ، لها أيضا أدلة من القرآن غير ذلك ، كما في قوله : ﴿ **قالت أخراهم لأولاهم** ﴾ في سورة الأعراف ﴿ **ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا** ﴾ ، ﴿ **قالت أخراهم لأولاهم** ﴾ هل المخاطب هو الله جل وعلا أو المخاطب الأولى ؟ المخاطب هو الله جل وعلا ، لذلك قالوا : ﴿ **قالت أخراهم لأولاهم ربنا** ﴾ فالمخاطب هو الله ، فيكون معنى لأولاهم يعني عن أولاهم ، ولهذا قال العلماء في حروف المعاني : إن ضابط اللام التي تجيء بمعنى عن ، أن يكون الكلام عن من لم يخاطب به ، أن يكون الكلام أو القول عن من لم يخاطب به ، وهنا قال : ﴿ **قال الذين**

كفروا للذين آمنوا أنطعم الذين آمنوا لم يخاطبوا بذلك ، ولم يوجه القول إليهم .
فإذًا تكون للذين بمعنى عن الذين . **قال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه** يعني عن الذين آمنوا ، لذلك أرجئ إليها الضمير ، **لو كان خيرا ما سبقونا** ، ما قال : ما سبقتمونا إليه ، وهكذا .
فإذًا هذا التفسير الصحيح ، ومن شواهده في كلام العرب ، قول الشاعر :

كضرائر الحسناء قلنا لوجهها حسدا وبغضا إنه لدميم

كضرائر الحسناء قلنا لوجهها ، يعني عن وجهها ؛ لأن الوجه ما يخاطب ، صحيح ، قلنا لوجهها ، يعني عن وجهها ، إلى آخره .
فإذًا هذا التفسير ها الكلمة الوجيزة التي ذكرها ابن كثير في محلها ؛ في أن معنى للذين آمنوا ، يعني عن الذين آمنوا .
قوله هنا : **انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم** نمر عن إيضاح المعاني اللغوية لكثير من الكلمات في الآية .
قولهم هنا : **أنطعم من لو يشاء الله أطعمه** هنا احتجوا هم بالقدر ، **أنطعم من لو يشاء الله أطعمه** إذا كان هؤلاء هم الذين آمنوا بالله ، فإذًا الله جل وعلا

....

أولى أن يطعمهم ، فلو شاء الله ، لو كانوا مرضين لله لأطعمهم ، وهذا احتجاج كسائر احتجاجات المشركين القدرية ، بالقدر على مسائلهم ، كما في قوله جل وعلا في سورة الأنعام : **لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء** .
قالوا : **لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا** كيف يشاء الله جل وعلا أن يقع الشرك في ملكوته ، **لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا** فهذا احتجاج بالقدر .
وقولهم : **أنطعم** هذا استفهام ، هل هو إنكاري أو توبيخي أو على حقيقته ؟ على حقيقته ليس واردا ؛ لأنهم لا يسألون عن ذلك ، هل هو توبيخي أم إنكاري ؟ ذكرت لكم الضابط فيما مضى ، وأن ما بعد الهمزة إذا كان مبطلا فيكون الاستفهام إنكاري ، وإذا كان مثبتا يكون الاستفهام توبيخي ، صحيح هذا أم لا ؟ تذكرون الكلام هذا ؟ ، مثلا في قوله : **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي**

إلهين من دون الله ﴿ هل هذا استفهام على حقيقته أو إنكاري أم توبيخي ؟ ما بعد ﴿ **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله** ﴿ هل هذا ثابت ، أو يعني واقع من عيسى عليه السلام ، أو غير واقع ؟ ، غير واقع منه ، طيب إذا كان غير واقع هل هو مبطل في نفسه لاعتقاد عيسى به أو موبخ به أو أن المراد السؤال على أصله ؟ ، المراد السؤال على أصله ، صحيح ، هذا في الاستفهام الأصلي بالهمزة ، في الاستفهام التوبيخي ، في قوله مثلا ، في الاستفهام الإنكاري : ﴿ **وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون** ﴿ هم يتقون غير الله ؟ هذا واقع منهم أم لا ؟ هذا واقع منهم ، إذًا فالهمز هنا هل هو للتوبيخ أو للإنكار ؟ الذي بعده واقع ، هل هو باطل ؟ ﴿ **غير الله تتقون** ﴿ هل هذا واقع منهم أو غير واقع ؟ واقع أنهم اتقوا غير الله ، أليس كذلك ! ، فلهذا تكون الهمزة لأي شيء ؟ تكون الهمزة للإنكار ، الهمزة إذا كان ما بعدها مثبتا ، يعني واقع منهم فتكون للإنكار ، وإذا كان غير واقع فتكون للتوبيخ ، لا ... اعكس الكلام الأول ، فقوله : ﴿ **أفغير**

....

الله تتقون ﴿ هذا واقع منهم ، فتكون الهمزة ، أحد يذكر الكلام الذي ذكرناه قبل ، عندك مكتوب ، هذا قديم الكلام الأول ، لا ، أنا قصدي الأول الذي ذكرناه في أول السورة تذكر ، على كل حال راجعوها ، وقع عندي بعض التباس ، نعم موجود أعطيني إياه ، يعني على كلامنا الأول ، إذا كان ما بعدها مبطلا فتكون للإنكار .
إذًا يكون في قوله : ﴿ **أفغير الله تتقون** ﴿ هذا مثبت أو مبطل ؟ هذا مثبت ، فتكون الهمزة للتوبيخ .
هنا في قولهم : ﴿ **أنطعم من لو يشاء الله أطعمه** ﴿ ، نطعم من لو يشاء الله أطعمه ، هذا مثبت أو مبطل ؟ هم لم يطعموا ، صحيح ، إذًا لم يقع منهم إطعام ، فلهذا تكون الهمزة للإنكار .
فإذًا ضابط الهمزة ، على نحو ما ذكرنا أولا ، فهي :
إذا كان ما بعدها غير صحيح ، إذا كان ما بعدها مبطلا ، صارت للإنكار .
وإذا كان ما بعدها مثبتا ، صارت للتوبيخ .

قال هنا : **أنطعم من لو يشاء الله أطعمه** الإطعام لا يختص بالأكل ، بل الأكل والشرب يقال له : طعام ، لهذا قال عليه الصلاة والسلام في ماء زمزم : ((إنها طعام طعم ، وشفاء سقم)) ، وأصل طعم في اللغة تذوق ، طعم الشيء إذا تذوقه ، وسمي ما هو أبلغ من التذوق ، وهو الأكل والشرب سمي ، يعني ما يؤكل وما يُشرب ، سمي طعاما ، والأكل والشرب سميا إطعاما أو طعما وتطعما لذلك قال : **أنطعم من لو يشاء الله أطعمه** طبعا المشيئة هنا هي المشيئة الكونية ، وليس في القرآن ما يدل على انقسام المشيئة إلى كونية وإلى شرعية ، كما سبق أن أسلفت لكم .

 إن أنتم إلا في ضلال مبين هنا وقع خلاف بين ابن جرير وابن كثير فيما سمعتم ، وكذلك مع غيرهم من المفسرين ، هل هنا **إن أنتم إلا في ضلال مبين**

هل هو من كلام المشركين ، أو هو استئناف ؟ الصحيح أنه من تتمة الكلام ،

 أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين تكملة للكلام السالف والضلال ، **إن أنتم إلا في ضلال مبين** ، والضلال أصله الذهاب عن الصواب ، هذا أصل الضلال ، في اللغة ، وهذا أيضا مجيئه في القرآن ، على ذلك ، ضل يعني : أخطأ الصواب ، وذهب عن الصواب ، والضلال : هو الذهاب عن الصواب في المسألة ، أو في العقيدة ، أو في الدين ، أو في الشيء المعين ، لهذا قال تعالى :

 أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى يعني أن تخطيء إحداهما الصواب ، فتذكر إحداهما الأخرى ، كذلك قال جل وعلا في سورة يوسف : **قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم** لا يريدون بالضلال خلاف الهداية ، لا.. وإنما يريدون بالضلال خلاف الصواب في مسألة يوسف وأخيه القديم ، هذا معنى الضلال في القرآن ، ولهذا قال جل وعلا في سورة (الم تنزيل السجدة) **، قال :** **ءإذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد** ، **ءإذا ضللنا في الأرض** أي ذهبنا في الأرض بالموت ، وبتفرق الجسد ، وهذا خلاف ما يعتبرونه صوابا ، أو ما يرجونه صوابا ؛ لأن الصواب عندهم هو أن يبقوا أحياء ، فلما ماتوا سمي دفنهم ، وما

بعدهم قيل له ضلال في الأرض ، و **ضللنا في الأرض** أي بالموت والدفن بعده
المقصود هنا ، قالوا : **إن أنتم إلا في ضلال مبين** إذا تبين ذلك ، فما معنى الضلال المبين هنا ؟ ، الضلال : يعني الذهاب عن الصواب في هذه المسألة التي مسألة الإنفاق بخصوصها .
ومبين يعني الضلال البين في نفسه الواضح البطلان ، الواضح السمات والصفات ، هذا بعض ما يتصل بتفسير هذه الآيات الثلاث ، وأسأل الله جل وعلا أن ينفعني وإياكم بما سمعنا ، وأن يزيدنا علما وفقها ، في كتابه ، وأن يختم لنا بخاتمة الحسنى ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .